سلطان ناجي
عدن، مجلة الحكمة، العدد السادس و الأربعون، السنة الخامسة، 1976م

من تاريخ المدن اليمنية (1):
(عدن، أبين، الشيخ عثمان) **

عدن وأبين عبر التاريخ

في كتابات المؤرخين الإسلاميين نجد إرتباطاً عضوياً بين عدن و أبين، فعدن تضاف إلى أبين فيقال (عدن ـ أبين) ليفرق بينهما و بين (عدن ـ لاعة) في منطقة حجة شمال غربي اليمن.

أبين:

إن موقع أبين في دلتا واد تمر فيه السيول الموسمية قد جعلها مكاناً صالحاً لقيام الحضارة منذ زمن بعيد. و قد كانت الزراعة أحدى المقومات الأساسية للحضارة اليمنية القديمة، و كانت دلتا أبين كدلتا لحج و بيحان وغيرها عليها أنظمة الري و القنوات و السدود في الماضي، و لا تزال بقاياها تظهر إلى الآن عند القيام بحفريات زراعية في مثل هذه المناطق.

و في معجم البلدان يقول ياقوت: (أبين هو مخلاف باليمن منه عدن. يقال أنه سمي بأبين بن أيمن بن الهميع حمير بن سبأ). و قال الطبري: (عدن و أبين أبناء عدنان بن واد).

و في نقش النصر الذي وجد في صرواح، و هو أطول نقش تاريخي وجد حتى الآن في سجل الملك السبئي (كرب أيل وتر)، بأنه قضى على مملكة أوسان و كذلك أنزل هزائم منكرة بدثينة و دهس (يافع) و تفيض (أبين) و تبنو (لحج) و أدمجها جميعاً في منطقة واحدة.

كذلك فقد وجد نقشان حميريان في أبين يشيران إلى العلاقة التي كانت قائمة بين أبين و مدينة مأرب، و النقش الأول يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد و يذكر فيه الملك السبئي (سهمو علي). و يعود تاريخ النقش الثاني إلى القرن الرابع بعد الميلاد و فيه يذكر قصر (سلحين) في مأرب.

و في العصور القديمة كانت محطة تجارية مهمة بين عدن و تمنع و مأرب و شبوة. و قد وجدت فوق الجبال المحيطة بأبين بقايا حصون حراسة يعود بناءها إلى العصور الوسطى، إلا أن هذه الحصون بنيت فوق ركام حصون أخرى قديمة لا شك أن حمير كانت قد بنتها لحراسة تجارتها. فأبين و يافع هما المنطقتان اللتان خرجت منهما حمير و التي كونت فيما بعد دولة سبأ و ذي ريدان. و من هذه الحصون هناك حصن يقوم على الجانب الشرقي من جبل (سرار) و قد بني بجانبه كريف للماء. و هناك حصن آخر بني فوق جبل (الحبش) و هو يشرف على الطريق الآتية من ناحية الغرب، و كذلك توجد حصون أخرى شرقي أبين.

و في العصور الإسلامية نجد أبين أكثر غنى و إنتاجاً و مركزاً تجارياً هاماً لبقية مناطق الداخل. و كانت أبين ميناءاً هاماً في القرن العاشر الميلادي، و قد أرتبط تاريخها السياسي كما رأينا بتاريخ عدن و أصبحت عدن تضاف إليها و ليس العكس.

و في صفة جزيرة العرب للهمداني (القرن العاشر الميلادي) نستطيع أن نخرج بوصف دقيق لأودية أبين و شطوطها و قراها و لغة أهلها و معيشتهم. فهم و سكان عدن كما يقول الهمداني: (يكثرون من أكل اللحوم و السمك و ينتجعون من مواضع الجدب إلى الريف أما لغتهم فيقول سر و حمير و جعدة ليسوا بفصحاء و في كلامهم شيء من التحمير و يجرون في كلامهم و يحذفون فيقولون يابن معم في إبن العم، و سمع في أسمع. لحج أبين و دثينة أفصح و العامريون من كندة و الأوديون أفصحهم و منهم الشاعر الأفوه الأودي. عدن لغتهم مولّدة رديئة و في بعضهم نوك و حماقة إلا من تأدب).

.....

* القسم الأول من بحث بعنوان: من تاريخ المدن اليمنية، مكوّن من ثلاثة أقسام.

** يوجد بحث آخر نشر عام 1983م بعنوان"عدن عبر التاريخ" يشمل مدن مدينة عدن فقط. (للمزيد راجع: "قائمة الأعمال" و"الصفحة الرئيسية").